

### النفحة الثالثة والعشرون: رَمَضَانَ شهر الخير والإحسان

رَمَضَانَ مضمّار واسع يتسابق فيه الصالحون، ويتنافس فيه المتنافسون لفعل الخيرات والاستزادة من المبرات، وكيف لا يتسابقون وفيه يضاعف الثواب، ويزداد الأجر والعطاء، وهو سيد الشهور وأبركها وأشرفها، وكل عمل صالح يؤدي فيه يكتب ظلاً ظليلاً من خيره وبره...

ألا وإن من أفضل خصال البر والعمل الصالح في رَمَضَانَ، الإنفاق في سبيل الله سبحانه تعالى، والتصدق على الفقراء واليتامى والأرامل والمنكوبين والمشردين، فقد جاء في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: «شعبان لتعظيم رَمَضَانَ»، قيل: فأَيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة في رَمَضَانَ»<sup>(1)</sup>.

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، كما ورد في الصحاح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رَمَضَانَ حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رَمَضَانَ فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)<sup>(2)</sup>.

والصدقة في رَمَضَانَ على الفقراء والمساكين، وخاصة على الذين لا يجدون ما يفترون عليه من كسارة خبزٍ أو دقل التمر أو غيره، بسبب الحروب التي شردتهم في أقاصي الأرض، والتأمر والمتأمرين الذين خذلوهم، فهؤلاء حين تدفع إليهم الصدقة، فإنك تنال مثل أجرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً، كَانَ مَغْفِرَةً لذنوبه وعق رقبتة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره

(1) رواه الترمذي، 51/3، رقم: (623)، والبيهقي، 305/4، رقم: (8300).

(2) رواه البخاري، 1177/3، رقم: (3048)، ومسلم، 1803/4، رقم: (2308).

شيء»، قالوا: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال: «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن»<sup>(١)</sup>.

والنبي ﷺ بشر الذين يطعمون الطعام بغرف في الجنة لكن من طراز فريد، عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن عندما يكون صائماً متصدقاً، يكون قد جمع من خصال الخير والبر ما يدخله الجنة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وكم وكم أثنى ربنا تبارك وتعالى على الذين يتصدقون على الفقراء والمساكين ويطعمونهم قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ <sup>(٨)</sup> **إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرِجَالِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا** <sup>(٩)</sup> **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا** <sup>(١٠)</sup> **فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَعْرَةً وَسُرُورًا** <sup>(١١)</sup> **وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** <sup>(١٢)</sup> **فُتِّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** <sup>(١٣)</sup> [الإنسان: 8 - 13].

وفي مسند أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على

(1) رواه ابن خزيمة في صحيحه، 3/ 191، رقم: (1887)، ورواه الهيثمي في الزوائد، 412/ 1،

رقم: (321)، والبيهقي في شعب الإيمان، 3/ 305، رقم: (3608) وغيرهم.

(2) رواه الحاكم في المستدرک، 2/ 262، رقم: (509).

(3) رواه مسلم، 4/ 1857، رقم: (1028).

عري، كساه الله من خضر الجنة»<sup>(1)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: «أن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار فيقول: يا فلان، هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال فاشفع لي بها عند ربك، قال: فيسأل الله تعالى جل ذكره، فيقول: إني أشرفت على النار فناداتني رجل من أهلها، فقال لي: هل تعرفني؟ قلت: لا والله ما أعرفك من أنت؟ قال: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك، فاشفع لي عند ربك فثفني فيه، فيشفعه الله فيأمر به فيخرج من النار»<sup>(2)</sup>.

وهكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، يطعمون الطعام، ويقدمونه على كثير من الأعمال، وهم بجانب ما ينالون من أجر وثواب، فإنهم يكسبون قلوب إخوانهم ويتوددون إليهم، والنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبذلك تقوى عرى الأخوة، ويزداد الحب في الله تعالى رسوخاً وماناة.

### أيها الصائمون الأكارم:

رَضَّانَ موسم القربات، وموسم مسح دموع اليتامى والمنكوبين، موسم العطف على البائسين والمحرومين، فبادر أخي المسلم إلى هذه الطاعة الكريمة، ولتكن سخياً ندياً كريماً، ولتنفق حتى ينفق الله عليك، ولتعط حتى يعطيك الله تعالى، ولتبذل حتى يعوضك الله تعالى، أما علمت أن ملكين يناديان مع إشراقة كل صباح، يقول الأول: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممكماً تلفاً.

واسمع إلى نداء القرآن، وهو يندبنا إلى الإنفاق والبذل والعطاء قال

(1) رواه أحمد 3/13، رقم: (11116) والترمذي، 4/633، رقم 2449.

(2) الترغيب والترهيب، 2/39، وابن ماجه 2/1215، رقم: (3685).

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: 254].

وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261].

إنه نداء الحق إلى الذين آمنوا به، وانصاعوا لندائه، وها هو ذا سبحانه وتعالى يدعوهم إلى الإنفاق مما حباهم من نعم وفضل، وهذه الدعوة إلى الإنفاق تعتبر فرصة ثمينة بالنسبة لهم، فإن فاتت، فقد فوتوا الخير كله، لأن الآخرة لا يبيع فيها ولا ربح ولا شفاعة.

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى معقِّباً على هذا المثل القرآني: (إن المعنى الذهبي للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة، أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير، فهو أوسع من هذا وأجمل، وأكثر استجاشة للمشاعر وتأثيراً في الضمائر، إنه مشهد الحياة النامية، مشهد الطبيعة الحية، مشهد الزرعة الواهبة، ثم المشاهد العجيبة في عالم النبات، العود الذي يحمل سبع سنابل، والسنبلة التي تحوي مائة حبة، وفي موكب الحياة النامية الواهبة، يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء، إنه لا يعطي بل يأخذ، وإنه لا ينقص بل يزداد، وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها تضاعف المشاعر التي استجاشها مشهد الزرع والحصيلة، إن الله يضاعف لمن يشاء، يضاعف بلا عدد ولا حساب، يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها، والله واسع عليم، واسع لا يضيق عطاؤه، ولا يكف ولا ينضب، عليم يعلم بالنوايا ويشب عليها، ولا تخفى عليه خافية، ولكن أي إنفاق هذا الذي ينمو ويربو؟

وأي عطاء هذا الذي يضاعفه الله في الدنيا والآخرة لمن يشاء؟

إنه الإنفاق الذي يرفع المشاعر الإنسانية ولا يشوبها، الإنفاق الذي لا يؤدي كرامة ولا يخدش شعوراً، الإنفاق الذي ينبعث عن أريحية ونقاء ويتجه إلى الله

وحده ابتغاء رضاه) (1).

### أخي المسلم:

إن هذه الصدقة التي تدفعها في الدنيا، تظلك يوم تكون بأمس الحاجة إلى الظل، يقول الحبيب ﷺ: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس»، أو قال: «حتى يحكم بين الناس»، قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة) (2).

يا سبحان الله، في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وأهوالها الشداد، حيث تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويضرب الصراط على متن جهنم، ويأمر الجليل تبارك وتعالى العباد أن يسيروا عليه، في هذه الظروف الحرجة المحرقة، تأتي صدقتك لتكون كالظلة - كالغمامة - فوق رأسك حتى يفصل بين العباد.

وياك أخي المسلم أن تتبع صدقتك باليمن والأذى، والسمعة والرياء، فإن ذلك يبطل الصدقة، ويمحق ثوابها ويوردك الموارد المهلكة، قال تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْتَغُوا بِهَا صَدَقَتِكُمْ بِالْأَذَى وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣١٤﴾﴾ [البقرة: 264].

لأن المنى فيه نزعة لؤم، وشهوة خسيصة، لأن المنان تستهويه رغبة في الاستعلاء والتكبر، أو رغبة في إذلال المسكين المتصدق عليه، أو رغبة في السمعة والرياء، فإنفاقه إذن ليتوجه الناس إليه ويشنوا عليه، لا لوجه الله تعالى.

إن قلب المنان صلد وشعوره صلف، وأحاسيسه لم تذوق نداوة الإيمان وبشاشته، إنه قلب قد غلف بالرياء، فمثله كمثل حجر قاس أملس قد غطي بتراب خفيف، يحجب قسوته وصلادته عن أعين الناس، ولكن إذا أصابه المطر فإنه سيكشف للناظرين بقسوته وجموده وصلادته، وإذا به لا يثمر ولا ينبت

(1) في ظلال القرآن، 306/1.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه، 104/8، رقم: (3310)، وغيره.

زرعاً، وهذا مثل قلب المنان والعياذ بالله تعالى .

ولذلك فإن المتصدق المرابي المنان توعدده الحق ﷺ بعذاب أليم، كما جاء على لسان النبي ﷺ، فيما يرويه أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، قال فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»<sup>(1)</sup>.

### أخي المسلم:

إنه مما يدمي القلب ويكلم الفؤاد أنك إن قلت للموسر: أنفق في هذه الأيام المباركة، فإن للمحتاجين حاجات وضروريات، وكم في المسلمين من طالتهم حروب ظالمة فتاكة، فهجروا من ديارهم، وهُدِّمَت منازلهم، واغْتَصَبَت نساؤهم ويَتَّم أبناؤهم، جروحهم نازفة، قلوبهم ممزقة دامية، قلَّ الطعام والشراب، ونقص الكساء والدواء، ونحن أكرمنا الله تعالى بأمن وأمان، وطمأنينة ورخاء ومال، فمد يد العون لهم، واجبر كسر قلوبهم، وامسح دموع صغارهم، وأدخل البيهجة والفرحة على قلوبهم...

فإنه يجيبك مع كل أسف، كما حكى عنه وعن أمثاله القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يسر: 47].

وفي المقابل فإنك تجد بحمد الله تعالى أناساً خيرين مباركين، لا يستنكفون عن المسارعة الحثيثة لمواساة الفقراء والغارمين، فتراهم يتكفلون بإفطار مجموعات كبيرة من الناس، وكسوة عدد ليس بالقليل من المحتاجين، حباً لله تعالى، ورغبة فيما عنده من الثواب والأجر العظيم.

### ثم احذر أخي المسلم أن تقول:

إن الصدقة لا تصل إلى مستحقيها، وأنا أدفع ولكن ما يدريني أنها

(1) رواه مسلم، 102/1، رقم: (106).

وصلت إلى أرض فلسطين أم لا، وأنا أبذل ولا أدري هل وصلت إلى المكان الفلاني أم لا، وأنت تعلم أن الأعمال الخيرية يقوم عليها أناس يوصلون ما تقدم، ثم أما سمعت بحديث المتصدق على فئات غريبة يقول ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ لَاتَّصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأُضْبِحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقُ عَلَيَّ سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَاتَّصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيَّ زَانِيَةً فَأُضْبِحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقُ اللَّيْلَةَ عَلَيَّ زَانِيَةً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ زَانِيَةً لَاتَّصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيَّ غَنِيٌّ فَأُضْبِحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقُ عَلَيَّ غَنِيٌّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ سَارِقٍ وَعَلَيَّ زَانِيَةً وَعَلَيَّ غَنِيٌّ فَأَتَيْتُ قَبِيلَ لَهُ أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَيَّ سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَن سَرِقَتِهِ وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَن زِنَاهَا وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَغْتَبِرُ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ»<sup>(1)</sup>.

واعلم أخي الصائم:

أن في الإنفاق دعوة قوية للتكافل الاجتماعي الذي ينشده الإسلام، فكما أن معالم هذا التكافل قد برزت وأثمرت في كثير من شرائع الإسلام، كالصلاة والحج والصوم والزكاة، فكذلك تتجلى هنا وبنطاقها الواسع، ذلك لأن المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، وكالبناء الواحد، فكلما بذل المسلم وأعطى أخاه وأقال كربته، قويت الرابطة الإيمانية، وارتأب الصدع، وسدت الثغور، ولم يعد هناك أي منفذ لعوامل التفرقة والهدم والشتات...

والصدقة لم تقتصر يوماً من الأيام على الفقراء والمحتاجين، بل إنها تعدتهم إلى سبل الخير ونشر الهدى والنور، فالدعوة الإسلامية بأمس الحاجة للمحنيين، ذلك لأن العالم شرقه وغربه متعطش لتعاليم الإسلام، فيما أنه لم يجمع عن الإسلام شيئاً، أو إن الإسلام وصله بصورة مشوهة مرعبة، كما يصورها له الإعلام في تلك البلاد، فمن يصحح هذه الصورة؟ ومن يستأنف النشاط الدعوي الذي أوجبه الحق تبارك وتعالى علينا، ولم يكن من نافلة الحياة بل هو من أولوياتها،

(1) رواه البخاري، 516/2، رقم: (1355).

ولذلك فإن من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ويعتبر طلبة العلم والدعاة من أهم ما ينبغي أن يجهز ويرسل إلى تلك البلدان، ليجتمع مع أهلها ويحاورهم ويحاضرهم ويبدد الغبش الذي رسا على قلوبهم وعقولهم عن تعاليم الإسلام، ويصحح لهم مفاهيمهم وتصوراتهم الخاطئة حول شرع محمد ويبين لهم أن الانطباعات السلبية التي علقت في أذهانهم حول الدين، الإسلام براء منها، والحق فيها كذا وكذا . . .

وللأسف فإن هذا الباب من التبrec يكاد يكون أضعف شيء في هذا الزمان، بعدما كان من أنشط الأبواب في عصور الازدهار في الدولة الإسلامية، ولو تنبه المسلمون إليه وأسهموا فيه لكان وضع الأمة أحسن من واقعها الحالي بكثير. . .

#### بالله عليكم يا مسلمون:

كم يُرصد كل عام للإرساليات التبشيرية الصليبية في أفريقيا وآسيا وغيرهما؟

وكم يكُدس من الملايين سنوياً للصد عن سبيل الله، سواء كان على المستوى التبشيري، أم على مستوى الدعوة المضادة لهذا الدين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُضِلُّونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ كَوَّثُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْنَوْنَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْرَجُونَ﴾ [الأنفال: 36].

إنها مسؤولية كبيرة يتحمل تبعتها كل مسلم، وخاصة أصحاب الأموال، ولا يظن هؤلاء أن الله تعالى لن يسألهم عنها يوم الدين. . .

#### أيها الصائمون الأكارم:

إن الصدقة تطفى غضب الرب تبارك وتعالى، واذكري يا أخي أن الصدقة الجارية تكون نوراً مضيئاً في قبرك، ولربما من تصدقت عليه يدعو لك آناء الليل وأطراف النهار، وابنك من لحمك ودمك الذي يرثك لربما لا يذكرك ولو بدعوة، بعدما يأخذ نصيبه من التركة. . .

فبادر أخي الصائم في هذه الأيام المباركة بالجود والعطاء، فلن تجد أوقاتاً

يضاعف الأجر فيها كهذه الأيام، التي تفتح فيها أبواب الجنة، وتغلق فيها أبواب النار.



obeykandali.com